أ.د. أسعد السحمراني
أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي - بيروت

دراسات ومقالات

إسعاد الإنسان هو الأصل

تمهيد

إن نظرة فاحصة لحال الإنسان في العالم كله في هذا العقد الأول من القرن الحادي والعشرين تبيّن أن حالة شقاء وعذابات تغشى كل المواقع المعمورة، هذا رغم أن التقدم العلمي والتقني وصل إلى حالة من التطورات المتسارعة التي كان يتوقع منها أن ترتقي بالواقع، وأن تولد مناخاً من الإستقرار الذي يحقق سعادة الإنسان.

إنها السياسة الدولية المحكومة بفكر سياسي مادي الابعاد يقدم المادة على الروح، والكم على الكيف، والأشياء على الإنسان، هذا إن لم يكن فيها ما يقوم على تشييء الإنسان، ويظهر ذلك من المغالاة في اعتماد لغة الأرقام مجردة من أي قصد إنساني، ومن خلال التسابق على استثمار التقدم في تكديس السلاح، والتفنن في التسلط والقهر والقتل والتشريد دونما حسابات يلتزم فيها الناس قادة وشعوباً بخط العمل من أجل إنسان تتوافر له ظروف الحياة الكريمة.

لقد خرج العالم في القرن الماضي من حربين عالميتين إلى صراع على النفوذ وتسابق على الإستقطاب تحت شعار الحرب الباردة، وفي العقد الأخير من القرن العشرين سقطت الحرب الباردة مع تفكك الإتحاد السوفياتي، وانفلتت المقاصد الأمريكية

الامبراطورية النزعة، العنصرية فكرياً، الإستعلائية الإستكبارية ثقافياً وعقدياً، المتوحشة في رأسماليتها، المادية الصرفة في تطلعاتها، والمغالية في استخدام القوة دون احترام لشرعة أو مواثيق أو أية قيم فكان ما كان من مظاهر العنف غير المبرر، والحروب في ميادين القتال العسكري، والنزاع السياسي، والإستغلال الإقتصادي مع السلب والنهب، والإفساد الأخلاقي وكأنهم يحقدون على القيم الناظمة لعلاقات البشر التي تكرم الإنسان سواء منها ما دعت إليه رسالات السماء الخالدة، أو ما حوته الفلسفات والنظريات الإصلاحية. هذه المناخات قادت إلى سؤالين يعمل البحث للإجابة عنهما هما:

١- من هو الإنسان؟ وما موقعه؟

٢- ما السبيل من أجل إسعاد الإنسان، والوصول إلى مجتمعات وعلاقات دولية مستقرة؟

الإنسان: مفهوماً وماهية في الفلسفة القديمة

تطلع الإنسان منذ خلق الله تعالى آدم وحواء ونسلهما إلى معرفة كنهه، وشخصيته، وهو الكائن العاقل لأن الوعي في أول درجات السّلّم يبدأ من وعي الأنا الذي يؤسس للتعرف على المحيط الكوني والإحاطة به.

الإنسان كائن عاقل ناطق يتكون من جسد وروح ونفس، والنفس فكر ووجدان، أو عقل وعواطف. وإذا كانت معرفة الجسد بمكوناته العضوية مسألة ممكنة، وقد توصل علم الأحياء إلى الكثير فيها إلا أنه يبقى الأمرالأصعب أن يحيط أحد علماً بجوهر الحياة النفسية للإنسان إن لجهة ميوله ورغباته المرتبطة بحاجاته وغرائزه، أو لجهة الجانب الذهني في الفكر والعقل والإدراك والذاكرة وما إلى ذلك من عمليات عقلية إدراكية.

يقتضي البحث أن يتمّ استعراض لمفاهيم الشعوب عبر محطات تاريخية متتالية

للإنسان فرداً ومجتمعاً حيث ارتبط الأمر بمعتقدات هذه الشعوب، والجميع حاولوا التوافق على قيم أخلاقية ناظمة لعلاقات الأفراد من أصغر الوحدات الإجتماعية الأسرة إلى أكبرها الأمة والدولة والأمم والدول، أي أن الأمر استلزم وضع قواعد أو استقبال تواعد من مصدر إلهي أو بشري تصل بالإنسان إلى أفضل حالة ممكنة.

هذه مناجاة من المصريين القدامى تظهر نموذجاً من هذه القيم التي تأتي على شكل نفي لكل ما فيه شرّ أو أذى للآخرين: "سلام عليك، أيها الإله الأعظم، ربّ الصدق والعدالة. لقد وقفت أمامك، يا رب، وجيء بي لكي أشاهد ما لديك من جمال... أحمل إليك الصّدق... إني لم أظلم الفقراء... لم أفرض على رجل حرّ عملاً أكثر مما فرضه هو على نفسه... لم أهمل، ولم أرتكب ما تبغضه الآلهة... ولم أكن سبباً في أن يسيء السيّد معاملة عبده، ولم أمِت إنساناً من الجوع، ولم أبكِ أحداً ولم أقتل إنساناً... ولم أخن أحداً... ولم أنقص شيئاً من مؤونة الهيكل، ولم أُتلف خبز الآلهة... أنا طاهر، أنا طاهر، أنا طاهر".[١]

تتجه المناجاة إلى الإله عهداً مقصده الطهارة كما كان الختام، وفي المناجاة كلام يذخر بما يؤكد فلسفة العدل التي تحقق كرامة الإنسان، وفيه عهد بالابتعاد عن الظلم لأن الطباع تأباه، وهو الذي يستبيح الحرمات، وفي المناجاة تعهد باحترام حقوق الآخرين بدءاً من الرّضّع الذين لا يُعتدى على لبنهم.

أما في بلاد ما بين النهرين حيث قامت حضارات متعاقبة فقد برز بشكل لافت حمورابي بقوانينه المميّزة، ومما جاء بلسانه: "أنا حمورابي الأمير الأعلى، عابد الآلهة، لكي أنشر العدالة في العالم، وأقضي على الأشرار والآثمين، وأمنع الاقوياء أن يظلموا الضعفاء... وأنشر النور في الأرض وأرعى مصالح الخلق".[٢]

خطاب بلسان حمورابي يتجه إلى الآلهة وإلى أمر تنظيم شؤون الإجتماع البشري على أساس من سيادة العدل، ونشر الخير ونور المعرفة، هذا مع مقاومة كل شر وظلم، وكل هذا ليس إلا سعي لتحقيق كرامة الإنسان وسعادته في مجتمعه. ولا يختلف محتوى

هذا الخطاب عما ورد سابقاً من مجتمع قدامى المصريين، فحضارات البلاد التي تبلورت شخصيتها لاحقاً في الأمة العربية، والشرق المحيط بها كانت منذ نشأتها في مهدها الأول إنسانية الأبعاد.

ويأتي دور البوذية التي اهتم مؤسسها بالإنسان الذي تميّز بالعقل وبات عليه أن يعمل للتطهر، وأن يتمرد على الشيطان الذي يسميه بوذا: مارا. ونظرية بوذا في الإنسان هي: "إن الخليقة بأسرها قد انبثقت من العقل وتخلقت بما اكتسبته من أخلاق ما حولها، والعقل الأصيل فيها هو الذي يكون على استعداد لقبول البركة أو اللعنة.

إن الشرير يصوغ أخلاقه، بها يتألم بعد أن يضعه مارا (الشيطان) في بؤرة الأوجاع والأحزان.

إن الإنسان هو نفسه يطهّرها أو يدنّسها. فابذل ما بوسعك لتتطهر، وتتفاتا (بوذا) وحده يرشدك إلى الصراط الحق. والفكر الذي يلج سبيل الحق يتحرّر من قيود مارا الشرير، فمن استيقظ ولبّى ضميره يخلص، وأما الذي يتوانى ويكسل فيسقط."[٣]

لقد ركزت البوذية وقبلها الهندوسية على التطهير والزهد، وحضّوا على هجر الشهوات والمطالب المادية، وكانوا أول من شجع نظام الرهبانية ولا يزالون إلى يومنا هذا، فالخلاص عندهم يكون بقدر تحرر الإنسان من نير البدن وبذلك يكون خلاص النفس، وتحقق بعدها السعادة.

أما الفلاسفة اليونان فقد ذهبوا باتجاه مباحث الوجود (أنطولوجيا) فتحدثوا عن الكون وأصل الوجود إلى أن جاء السوفسطائيون٤ ومعاصرهم سقراط حيث أنزلوا الفلسفة من الميتافيزيقا (ماوراء الطبيعة) ومباحث الوجود إلى الأرض لتدخل المجتمع، وتنطلق من الإنسان على أساس أنه المحور.

نسب أفلاطون إلى السوفسطائي بروتا غوراس أنه قال:

"الإنسان مقياس الأشياء جميعاً، هو مقياس ما يُوجد منها، ومقياس لوجود ما لا وجود له."[٥] لا معرفة خارج الإنسان الفرد.

وقد ذهب سقراط باتجاه التركيز على الأخلاق منطلقاً عند الإنسان الفرد من ذاته، وذلك بمعرفة النفس أولاً، ومن ثمّ العمل من قبل كل شخص لإصلاح نفسه.

ومنهج سقراط هو العمل وصولاً إلى "التقويم الخلقي للبشرية، ولكن ليس عن طريق الخطب والمواعظ، ولكن أن يجهد الناس أنفسهم ليعلموا ويصلحوا من شأن أنفسهم، لأن العلم هو العلم بالنفس من أجل تقويمها وفقاً لما قرأه... (أعرف نفسك بنفسك)."[٦]

أما أفلاطون تلميذ سقراط فقد كان مولعاً بإصلاح المجتمع، ووجد أن ذلك يكون من خلال الإصلاح في الأفراد كمدخل لإصلاح الدول، وطرح لهذه الغاية مشروعاً مثالياً، ونموذجاً يصعب تطبيقه سمّاه: "الجمهورية الفاضلة"، وقد بات مشروعه مضرب المثل لكل شخص عندما يسمع نظرية فيها بعد عن الواقع فيقول: هذه كجمهورية أفلاطون.

لقد ربط أفلاطون بين الإنسان والسياسة فبصلاح الأول تصلح الثانية، وأما المشاكل السياسية التي تؤدي إلى شقاء المجتمع، وتذهب بالسعادة فإنه يراها على الشكل التالي: "ولكن وراء هذه المشاكل السياسية طبيعة الإنسان، ولنفهم السياسة يجب علينا لسوء الحظ أن نفهم علم النفس: تختلف الحكومات باختلاف أخلاق الرجال... وتتألف الدول من الطبائع البشرية في داخلها، وتستمد الدولة شكلها من مواطنيها، فهي صورة طبق الأصل لمن فيها، ومرآة تعكس كل شكل سكانها، لذلك يجب أن لا نتوقع إيجاد أفضل دول حتى يكون لدينا مواطنون أفضل."[٧]

هكذا يكون إصلاح المجتمع وتحقيق الفضيلة مرتكزاً – حسب أفلاطون – على الإنسان الفاضل. فصلاح المواطن أساس لصلاح الوطن والدولة، ومن ذلك تكون السعادة.

الإنسان: مفهومه وموقعه في المسيحية

إن المسيحية في نصوصها الدينية، ودعوتها جاءت تؤكد على كرامة الإنسان، وحقّه

في حياة كريمة تتوافر له فيها كل أسباب العيش، ولا يكون فيها عوز أو فقر، ولا يكون ظلم أو عدوان، كما أن واجب الإنسان أن يحيا بالإيمان ليبعد نفسه عن الخطيئة.

ينطلق الموقف المسيحي من نص ورد في العهد القديم[٨]، جاء فيه:

"فخلق الله الإنسان على صورته

على صورة الله خلقه

ذكراً وأنثى خلقهم

وباركهم الله وقال لهم:

انموا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها

وتسلّطوا على أسماك البحر وطيور السماء

وكل حيوان يدبّ على الأرض

وقال الله: ها قد أعطيتكم كل عشب

يُخرج بزراً على وجه الأرض كلها

وكل شجر فيه ثمر

يُخرج بزراً يكون لكم طعاماً."[٩]

الإنسان دون سائر المخلوقات أُعطي صورة علوية مميّزة، وكان له نفس وعقل، وسخّر له الخالق كل نبات وشجر وحيوان وطائر كل ذلك لتتوافر له حاجاته، وليحقق حياة سعيدة لا خلل فيها.

وقد وقع آدم وحواء في الخطيئة –كما هو معلوم– وصارت الخطيئة المتوارثة من آدم الأول –حسب العقيدة المسيحية– حتى جاء آدم الثاني–المسيح– ليكون الفداء، ولتكون مسيرة جديدة للإنسان. ويعلّق على ذلك المسيحيون بالقول:

"فبآدم صارت المعصية والهلاك والموت، وبالمسيح صارت الطاعة والتبرير والحياة، وأكثر من ذلك، فبآدم دخلت الخطيئة في العالم، وبالمسيح فاضت النعمة... إن المسيحي هو ابن آدم بحكم ولادته، ويولد ولادة جديدة في المسيح بإيمانه... وإن من واجبه أن

يخلع عنه الإنسان القديم... ليلبس يسوع المسيح، الإنسان الجديد... أو بعبارة أخرى فهو يجد في المسيح الإنسان الأمثل."[١٠]

والمسيحية في مفاهيم المرجعيات الكنسية المعاصرة أكدت على ان حقّ الحياة الكريمة يجب أن يكون مكفولاً للجميع بصرف النظر عن اللون والجنس والعرق.

وجاء في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني، وهو للكنائس والمرجعيات الكاثوليكية، وقد صدرت في ١٩٦٥/١٢/٨ ما يبيّن ذلك بوضوح. كان في المقررات تحت عنوان: "الخيرات الأرضية لجميع الناس" ما يلي:

"جعل الله الأرض وكل ما فيها لخدمة جميع البشر وجميع الشعوب، فيجب من ثمّ أن تتدفق الخيرات المخلوقة على الجميع، وذلك عن طريق العدل المقرون بالمحبة. فمهما كانت صور الملكية الخاصة، في مطابقتها لأنظمة الشعوب المشروعة، وفاقاً لأحوال مختلفة ومتقلبة، فلا بد من التنبّه الدائم لكون هذه الخيرات معدّة لجميع الناس... أضف إلى ذلك أن للجميع حق الحصول على نصيب من الخيرات يكفيهم ويكفي عيالهم... وإذا كان عدد المتضورين جوعاً في العالم كبيراً جداً فإن المجمع المقدس يحضّ الجميع من أفراد الناس ومن سلطاتهم أن يذكروا مقالة الآباء: (أطعم المائت جوعاً، وإذا لم تطعم كنت قاتلاً). وأن يقتسموا الخيرات ويُحسنوا استعمالها، في نطاق إمكانات كلّ منهم، حتى إذا توفرت الوسائل للافراد والشعوب، قبل أي شيء آخر، تمكنوا من التعاون والنمو."[١١]

إن هذه التوجيهات لو تمّ اعتمادها لانتفى الفقر والعوز، ولساد العدل، ومن خلال ذلك يرد من مارسوا الاستعمار من أوروبيين وأمريكيين بعض ما نهبوه من البلاد الأخرى، ولامتنع العاملون بجشع وبرأسمالية متوحشة عن أفعالهم في أيامنا هذه. إن اتخاذ منهج الإقتسام للخيرات بعدل، ومنع الفقر هو الذي يؤسس لعلاقات مستقرة بين الأمم.

انتقلت بعدها المقررات في المجمع الفاتيكاني إلى التحذير من التمادي في تكديس السلاح، وفي المبالغة في استخدام القوة، والعمل لحروب ستجلب الدمار للجميع في نهاية

المطاف. ورد في المقررات: "لئن أوقعت الحروب الأخيرة في عالمنا ويلات ماديّة وأخلاقية لا حدّ لخطورتها، فكل يوم تعصف في ناحية من نواحي العالم حرب تواصل الفتك والتدمير. وإذا كانت الأسلحة العملية التي تستعمل في الحرب مختلفة الأنواع، فإن من شأن وحشيتها أن تحمل المتحاربين على بربرية تفوق بقسوتها بربرية الأزمان الغابرة... ...والمجمع، في نظرته إلى حالة البشرية هذه وما يعتورها من انهيار، يتوخّى، قبل كل شيء، أن يذكر بقيمة الإنسان الدائمة وبمبادئها الشمولية."[١٢]

إن هذه الحروب ستفتك بالجميع، ولن يكون سلام مع التهديد والعدوان، ومع سلب حقوق الآخرين، أو احتلال أرضهم، وبالتالي لاسعادة مع ما يجري في ظل الظلم والدمار وسيادة لغة السلاح والقتل. جاء في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني: "هذا السلام لا يمكن حصوله على الارض إذا لم يُحافظ على خير الأشخاص في كلّ شيء، وإذا لم يتداول الناس فيما بينهم بحرية وثقة غِنى مواهبهم الروحية والخلاقة. إن العزم الثابت على احترام الناس والشعوب الآخرين ورعاية كرامتهم، والممارسة الدائمة للأخوة، هي أمور ضرورية جداً لا يقوم بدونها السّلام."[١٣]

إن ضمانة الحقوق، وسيادة منطق الأخوة، واحترام حقوق الآخرين، كلّها عناصر أساسية من أجل صنع السلام الذي يجلب الإستقرار والسعادة.

أما في ظل التطاول، والاستباحة، والعمل بفكر امبراطوري عولمي يسعى للتسلط على الأمم جميعاً هذا مع الإستعلاء والعنصرية طلباً للأحادية القطبية وسيطرتها على العالم كله، فإن كل ذلك لن يزيد الواقع سوى تعقيدات، ولن يجلب سوى الصراع والعنف مما ينعكس في غير صالح الإنسان الذي كرّمه الخالق سبحانه.

ولم تقل المرجعية المسيحية الأورثوذكسية بغير ذلك، بل أكدت على القيم المحققة لكرامة الإنسان لأنه المقصد والهدف. قال البطريرك اغناطيوس هزيم ما يلي: "اهتمامي محصور بالإنسان. ألم يخلقه الله على صورته ومثاله؟ يجب أن يكون الإنسان خلاقاً ومبدعاً. لكي يكون كذلك، يجب أن يكون مغلفاً بالراحة النفسية التي هي من عند الله.

بذلك يتمجد الخالق. إذاً محور اهتمامي، هو الإنسان، وهذا ما أطلب من السادة المطارنة الأجلاء العمل به."[١٤]

ويقدم البطريرك هزيم الإنسان على الحجر، ويؤكد بأن الإنسان يجب أن يكون الهدف، وأن نمنع عنه الفقر والذل، ويجب أن نشعره بالأخوة الكاملة المعنى. قال: "نحن لا نحب الإنسان أن يكون فقيراً بل أن يظل شاعراً بأنه لا يقدر على العيش من دون الإنسان الآخر. والله يجعل بعضنا يحتاج للبعض الآخر كي لا ينسى الإنسان أخاه الإنسان. لكننا لا نرى أن يكون هناك إنسان يذلّ بسبب الفقر والحاجة، هذا أمر لا نقبله مطلقاً.

نأمل أن يزداد الوعي في هذا الإتجاه، وانا أسمع أن هناك شيئاً يدل على ذلك. نريد أن يشعر الإنسان بوطنه إذا كان يحبه، لأن هناك كرامته وأولاده وحقوقه، وإلا فما هي قيمة هذا الوطن، إذا كان عبارة عن تراب وحجارة للإنسان ولما هو إنساني."[١٥]

يلفت البطريرك هزيم إلى جانب مهم هو أن الحياة الكريمة، وتوفير الحقوق الأساسية للإنسان يعزّز انتماءه الوطني، لأنه يشعر بأن الوطن حاضن له ولذويه ويوفر لهم ما يحتاجونه.

هذه المواقف قليل من كثير ما طرحته وتطرحه المسيحية في نصوصها الكتابية، أو فيما يرشد إليه مرجعياتها، والأمر يحتاج أن يصغي الغيارى على الإنسان وسعادته، والعاملين لسلام واستقرار عالميين إلى هذه التوجيهات والإرشادات، وإذا ما بقيت النصوص حبيسة المطبوعات والمحفوظات، ولم تنقل إلى حيّز التطبيق العملي فإن الخلل سيبقى قائماً، وبذلك ينتفي الإستقرار في العلاقات على مستوى الأفراد أو الأمم، ويكون الشقاء نصيب الجميع.

قيم الإسلام وسعادة الإنسان

إن الحديث عن قيم الإسلام التي تحدد حقوق الإنسان وبها تكون سعادة الفرد

والمجتمع؛ لأن الإسلام أصّل للتوازن بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، يحتاج للبدء من نقطة الإرتكاز ألا وهي موقع الإنسان بين سائر المخلوقات.

ينطلق النص في الإسلام بشأن الإنسان من موقع الخصائص المميّزة له عن المخلوقات الأخرى؛ حيث أعطاه الله تعالى من الصفات والسمات ما يرتقي به باتجاه الكمال، وهذا غير متوافر لسواه في الكون. جاء في الآية الكريمة: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم."[١٦]

هذا المخلوق المتميّز عن سواه، والذي كان في أحسن تقويم أعطاه الخالق سبحانه مكانة يتفرد بها هي مهمة الإستخلاف في الأرض، وفي هذا الإستخلاف تحميل للمسؤولية، وحمل لأمانة هي الإعمار والإدارة السليمة ونشر الصلاح ومقاومة كل إجرام أو ظلم أو سفك للدماء، وفي النص القرآني بيان وبلاغ حول هذا الأمر، قال الله تعالى: "وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون × وعلّم آدم الأسماء كلها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين."[١٧]

إن الإنسان المستخلف في الأرض أعطي نعمة العقل ومعه علم الأشياء والأسماء، والإقتدار على الإكتشاف والإبتكار، ونبهه النص بلسان الملائكة إلى أن الإنسان الذي يريد القيام بمهمة الإستخلاف بحقّها يجب عليه أن يطيع الله تعالى ويسبح بحمده، وأن يبتعد عن الإفساد وسفك الدماء.

والإنسان المستخلف في الأرض وحامل الأمانة يحتاج حياة مستقرة تتوافر فيها أسباب العيش بشكل سليم كي تكون له السعادة، هذا الإنسان وهبه الله تعالى تكريماً يحقق له فضلاً وتفضيلاً. قال تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً."[١٨]

يكرم الله تعالى الإنسان المستخلف في الأرض، ويعطيه حرية الحركة استثماراً وسعياً حيث أراد براً وبحراً، وقد خلق الله تعالى من الرزق الكثير، وتركه للإنسان يحصل الطيّب منه لحاجته، والإنسان مفضل مقدم على سائر المخلوقات، وهذا يلغي كل استرقاق أو استعباد أو تسخير للإنسان من أجل شجر أو حجر أو ثروة، والمعلوم أن بعض الشعوب قديماً وحديثاً سادتها أفكار، وتسلط عليها حكام ظالمون سخروا، ويسخرّون الإنسان لتكديس الثروات جشعاً من قبلهم، ومن أجل تشييد المباني بدءاً من أهرام الفراعنة في مصر إلى ناطحات السحاب من العمارات الشاهقة الإرتفاع في نيويورك، وهذا لا يتناسب مع روح الإسلام وجوهره الذي يؤكد على مركزيتين بشأن الإنسان هما: الإستخلاف والتكريم، وهاتان المركزيتان تقضي بهما القاعدة التي قضى فيها الخالق سبحانه بأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم.

والمركزية التي يقوم عليها التشريع الإسلامي في عمومه هي: الرحمة. والرحمة مطلوبة من الناس مع بعضهم، ومن الإنسان في التعامل مع الحيوان، والبيئة، والثروة، وسائر ما في الكون لأن الرحمة تحقق العدل، وإذا غابت الرحمة حلّ الجور والظلم وهذا أمر يتنافى مع الإسلام. إن الرحمة مطلوبة في الأمور كلها أيًّا كانت متعلقاتها أو ميادينها، فالرحمة ملاك وإطار لكل أمر من أمور الحياة في الإقتصاد والسياسة والتربية والحياة الزوجية، وفي الأسرة، وشبكة العلاقات الإجتماعية، وفي علاقات الأمم والدول والمؤسسات والأفراد... الخ.

وقامت منظومة حقوق الإنسان في الإسلام على هذه الأسس من حقّ الحياة إلى حق التناسل بعد الزواج إلى حق العمل، وحرية المعتقد وحرية الفكر وحرية الإنتقال وحرمة المسكن وسائر الحقوق والحرمات، ولا يحتاج البحث للتفصيل فيها لأن مادتها متوافرة في مواقع وأبحاث وكتب ودراسات، ولا ضرورة للتكرار.

أما من يخالفون منظومة القيم والحقوق المتعلقة بالإنسان فإن الله تعالى توعّدهم بعذاب أليم جزاء ما فعلوا. قال تعالى: "إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون

في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم."[١٩]

والحقوق في الإسلام، والعدل في الإسلام، والرحمة في الإسلام، إنما هي عامة مضمونة لكل إنسان أيًّا كان معتقده وانتماؤه.

والمسلم مطالب أن يكون متوازناً بحيث يعمل للدنيا عملها ويعمل للآخرة عملها، ولسانه يلهج دوماً بالدعاء الذي ورد في النص القرآني، وفي الآية: "ربنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار."[٢٠]

إن سعادة الدارين هي المقصد، ومن أجلها تكون الأفعال كلها دون أن يطغى الإهتمام بدار دون أخرى.

الإنسان في فكر بعض العلماء المسلمين

إذا كان الإسلام قد بيّن –كما سبق الذكر– مكانة الإنسان وموقعه وحقوقه، فإن العلماء والمفكرين والفلاسفة من المسلمين قد أعطوه الإهتمام، وكانت عندهم عناية خاصة بالإنسان فرداً ومجتمعاً.

فالمفكرون المسلمون لم يهملوا الشأن الحياتي ووضع القواعد له، ولا هم سمحوا للمطالب المادية أن تسيطر على ما هو معنوي، بل جاءت نظرياتهم تؤكّد على الفطرة الإنسانية في الإجتماع البشري، وأن هذا الإجتماع البشري يعمل لسعادة الإنسان وللكمال، ولا يكون ذلك بلا نظام ولا شريعة، ودون وازع وسلطة، وأن يكون الأساس توازن واعتدال.

الفكر المادي الغربي ذهب باتجاهين هما

أ– اتجاه رأسمالي يترك السبل مفتوحة أمام الجشع والتوحّش، ومع الرأسمالية، ليبرالية تقدّس الأنا والفرد وتترك له التصرّف دون ضوابط.

ب– اتجاه ماركسي غالى في الجماعية نظاماً وملكية بحيث عطّل الحوافز وقتل

الإبداع.

أما فكر العلماء العرب والمسلمين النابع من جوهر الإسلام ورسالات السماء فإنه لم يقرّ مثل هذه المواقف، واتجه إلى توازن يشكّل فيه الإنسان الرأسمال الأساسي والمركزي، وهو النواة الصلبة للمجتمع الراقي السائر باتجاه الفضيلة والإزدهار.

كان أبو نصر الفارابي (٨٧٠م – ٩٥٠م) أحد الفلاسفة المهتمين بالإنسان، وبالسياسة المحققة للسعادة فقال: "وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج، في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته، إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه. وكل واحد من كل واحد بهذه الحال. فلذلك لا يمكن أن يكون الإنسان ينال الكمال، الذي لأجله جعلت الفطرة الطبيعية، إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه...

... ولهذا كثرت أشخاص الإنسان، فحصلوا في المعمورة من الأرض، فحدثت منها الإجتماعات الإنسانية."[٢١]

وإذا ساد التعاون المجتمع حصلت السعادة على أي مستوى كان هذا الإجتماع سواء أكان مدينة، أم أمة، أم الأمم كلها. قال الفارابي: "فالمدينة التي يقصد بالإجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة، هي المدينة الفاضلة. والإجتماع الذي به يُتعاون على نيل السعادة هو الإجتماع الفاضل. والأمة التي تتعاون مدنها كلها على ما تُنال به السعادة هي الأمة الفاضلة. وكذلك المعمورة الفاضلة، وإنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون على بلوغ السعادة."[٢٢]

إن تحقيق السعادة للبشرية يحتاج اجتماعات بشرية يتعاون فيها الجميع أمماً ودولاً لبلوغ السعادة لكن عندما يكون التنازع والتغالب كما حال شريعة الغاب، وعندما تكون الحروب والأطماع الإستعمارية غير المشروعة كما يشهد العالم اليوم، فلا تكون سعادة، ولا يكون استقرار، وذلك مشهود وغير خافٍ على أحد. فهل يأخذ القادة

والنافذون بما قاله الفارابي كي يتعاونوا لبلوغ السعادة؟

وعبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢م- ١٤٠٦م) قدم في المقدمة بياناً متكاملاً حول الإجتماع الإنساني الذي يحتاج فيه الأفراد للتكامل فيما بينهم لتأمين ما يحتاجونه، وبعد ذلك يعملون لتصنيع الآلات ومنها السلاح، ثمّ تكون الحاجة للسلطان والسلطة (الوازع) كي يفصل بين الناس ويسهر على رعاية النظام بينهم والعلاقات. قال ابن خلدون: "الإنسان مدني بالطبع أي لا بدّ له من الإجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه، ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه... فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة... وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتمّ حياته."[٢٣]

بعد الغذاء والقوت يتجه الإنسان إلى طلب الأمن الذي يكون بالدفاع ضد الحيوانات وضد كل عدوان، وقال ابن خلدون: "كذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الإستعانة بأبناء جنسه... ولما كان العدوان طبيعياً في الحيوان جعل لكل واحد منها عضواً يختص بمدافعته ما يصل إليه من عادية غيره، وجعل للإنسان عوضاً من ذلك كله الفكر واليد، فاليد مهيّئة للصنائع بخدمة الفكر، والصنائع تحصّل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح."[٢٤] ولا تكون مدافعة، ولا يكون أمان ولا أمن دون امتلاك الآلات لهذه الغاية التي هي السلاح.

ويأتي دور الحاكم لأنه لا يمكن لأي مجتمع، وإن توافر فيه القوت والسلاح أن يسيّر أموره دون سلطة تفصل بين الناس، وتسهر على حُسن سير العلاقات بينهم. قال ابن خلدون: "ثم إن هذا الإجتماع إذا حصل للبشر –كما قررناه – وتمّ عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعضٍ لما في طباعهم الحيوانية من العدوان

والظلم... فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان... وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع، ثمّ يقولون بعد ذلك، وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر (النبي)."[٢٥]، ويستدرك ابن خلدون بعدها ليقول: إذا كان الله تعالى قد اصطفى الأنبياء لحمل رسالاته إلى البشر ومنها يكون التشريع، ومن ذلك النظام السياسي، إلا أن غير المؤمنين كانت لهم تشريعات من مصدر بشري.

إن سعادة الإنسان، وتوافر حياة كريمة له يحتاج لاجتماع يقوم على التعاون لتأمين الحاجات الأساسية، ثمّ تكون الآلات والأسلحة، ومن ثمّ الوازع والتشريع، كل هذه تشكل المقومات الضرورية لمجتمع يوفّر لأبنائه الأمان والأمن والعدل.

وإذا كان الإنسان هو المحور، وهو القضية فإن الإنسان يؤدي دوره الحضاري من خلال فكره بكل ما يعيه ويبدعه ويكتشفه، والإنسان بأفكاره يتجه اهتمامه إلى المواد يعمل بها تحويلاً وتركيباً وبناءً فتتكامل العناصر الثلاثة من اجل مجتمع منشود. هذه العلاقة الجدلية بين العناصر الثلاثة تحدث عنها مالك بن نبي (١٩٠٥ – ١٩٧٣) قائلاً: "إن صناعة التاريخ تتمّ تبعاً لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة:

أ- تأثير عالم الأشخاص.

ب- تأثير عالم الأفكار.

ج- تأثير عالم الأشياء.

لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لتمازج أيديولوجية (عقدية) من عالم الأفكار، يتمّ تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء، من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص. فالعمل التاريخي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعاً، ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يتمّ عمل تاريخي إذا لم تتوفرّ صلات ضرورية داخل هذه العوالم الثلاثة."[٢٦]

وإذا كانت الحضارة مقصداً لكل جماعة بشرية وأمة، فإن الحضارة التي ترتقي

بالإنسان معنوياً ومادياً وعمرانياً، وفي وجوه المعاش المختلفة، لا تكون بجهود الأفراد، وإنما تنتج من حركة مجتمع ضمن الشبكة الناظمة للعلاقات على أساس قيمي أخلاقي، وبدون ذلك لن تكون حضارة، ولا يكون مسار تصاعدي رقياً. لهذا قال مالك بن نبي: "إن معنى التحضّر، أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الإجتماعية، وفي تنظيم الحياة الإنسانية، من أجل وظيفتها التاريخية.

... وجميع القوانين التي أملتها السماء، أو وضعتها محاولات البشر، هي في حقيقة الأمر اجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الإجتماعية، وبدونها لا تستطيع الحياة أن تستمر، لا أخلاقياً، ولا مادياً."[٢٧]

إلا أن شبكة العلاقات الإجتماعية تكون أرقى، وأكثر تحقيقاً للمرجو والمطلوب، فإنها تحتاج الإنطلاق من الإيمان، وأن يرتبط الناس في علاقات أمر بها الله تعالى، فيكون العامل الروحي عاملاً متيناً في توحيد المجتمع على أسس سليمة عمادها قيم أخلاقية ناظمة لشبكة العلاقات الإجتماعية.

العامل الديني هو العامل الأهم والأرقى في صناعة مجتمع سعيد يحقق السعادة للإنسان المستخلف في الأرض. وما ذلك إلا لأن "الدين يأخذ بيد الإنسان إلى المشاركة في إقامة المجتمع السعيد، والمحافظة على قضايا العدالة فيه، التي تحقق رضا الله تعالى، لأن ذلك يدخل في حساب ربحه الشخصي، ما دام كل عمل ونشاط في هذا الميدان يعوّض عنه بأعظم العوض وأجلّه."[٢٨]

إن استعراض نظم الإجتماع الإنساني، والفلسفات والنظريات السياسية يبيّن كيف أن الأفكار التي صاغها البشر بقيت قاصرة عن حل الجانب المادي والنفسي عند الإنسان، وكيف أنها عرفت الخلل في موقع الفرد في الإجتماع الإنساني، وحالة الإجتماع الإنساني مع الإنسان الفرد. وهذا يؤكد أهمية أخذ الأسس والضوابط لكل نظام من الإسلام. "فالميزة الأساسية للنظام الإسلامي تتمثل فيما يرتكز عليه من فهم

معنوي للحياة وإحساس خلقي بها، والخط العريض في هذا النظام هو: اعتبار الفرد والمجتمع معاً، وتأمين الحياة الفردية والإجتماعية بشكل متوازن. فليس الفرد هو القاعدة المركزية في التشريع والحكم، وليس الكائن الإجتماعي الكبير هو الشيء الوحيد الذي تنظّر إليه الدولة وتشرّع لحسابه."[٢٩]

عندما يقوم مجتمع الدولة والامة على عدم طغيان الفرد، ولا المجتمع ينطلق موكب الحياة باتجاه توفير المناخات لسياسة رشيدة وحكم عادل، ونظام يحقق أكبر قدر من الحريات، وفي ظلال ذلك يكون الإنسان في الحالات الأفضل في صيرورة حياته. "هذا هو الإنسان الذي له مميّزات ثلاث فقط وفقط. الإنسان الذي يجب أن يصير: أولاً: موجودٌ واعٍ. ثانياً: مختارٌ. ثالثاً: مبدعٌ. أما بقية مميّزات الإنسان الأخرى فهي تتفرع من هذه الثلاثة، وهي: إن الإنسان واعٍ ومختار ومبدع.

وبالمقدار الذي يصل كلّ منا إلى مرحلة الوعي، ثمّ نصل إلى المرحلة التي نتمكن فيها من الإختيار في الواقع، ثمّ نصل إلى المرحلة التي نتمكن فيها من إبداع الشيء الذي لم تبدعه الطبيعة ولم تتملكه، يكون كلّ منّا إنساناً."[٣٠]

إن الإنسان المعاصر خاصة فيما اصطلحوا على تسميته في الدول النامية يعاني من الإحتلال والإستعمار والغزو والقمع، وكل ذلك يتلخص تحت عنوانين هما: الإستعباد والإستعمار، وكلا الوجهين وهما عدوان على الإنسان يقتلان الإبداع، ويلغيان الإختيار، ولا يوفران الأجواء المناسبة لوعي سليم، وبذلك يلغون أنسانية الإنسان، ويتعاملون معه وكأنه جزء مكمل للماديات.

تأسيساً على ما تقدم نصل إلى الخلاصة التالية: "تهاوت مع سيطرة الأفكار الأوروبية (أمريكا ملحق فكري لأوروبا) القيم المحافظة على إنسانية الإنسان، وطغت أولويات الكميات، فسقط معها تكريم الإنسان وحريته، وفقد التوازن في ذاته مما جعل البشرية تتخبط في فلسفات تحاول أن تطرح حلولاً في كيفية مواجهة الإنسان لواقعه، ومع ذلك لم يجد الأمر نفعاً، بل كثرت العبثية، فانهارت قيم الخلق وصار الإنسان

مكمّلاً لعالم الأرقام، علماً أن تطور المجتمع وتقدمه، لا ولن يكون إلا بإعادة الإعتبار للإنسان ذلك الكائن الذي لا يمتلك سواه الدور في صنع وإعمار التاريخ، إن الإهتمام بالأشياء والتجهيزات لا يجدي نفعاً، ما لم يسبقها صنع الإنسان، فهو مفتاح الحضارة."[٣١]

خاتمة: توصيات واقتراحات

يتطلع الناس في كل المجتمعات والأمم والدول، ومنها الوطن العربي والعالم الإسلامي عموماً إلى عالم مستقر تتحقق فيه السعادة للإنسان المستخلف في الأرض، وهذا الأمر لن يتحقق بغير خطوات واجب اتخاذها لرد تحديات فلسفات الأرقام والكميات التي تطرح رأسمالية متوحشة تذهب بأبسط حقوق الإنسان، ومن أجل وقف مخاطر الليبرالية التي تقدس الفرد، وتعطيه الفرصة لاستباحة كل ما للآخرين، هذا بالإضافة إلى إزالة كل احتلال أو استعمار، وإعطاء حق العودة وتقرير المصير لكل مواطن على أرضه وفي وطنه، ولهذه الغايات والمقاصد تفيد الإقتراحات التالية:

١- تعزيز الدعوة إلى الإيمان بلا تعصب، ونشر قيم الدين التي حملتها رسالات السماء، وخاتمها الإسلام من أجل الإنسان المستخلف في الأرض. وإذا كان التدين ضمانة لمجتمع مستقر، فإن التعصب والغلو يشكلان عاملي هدم لشبكة العلاقات الإجتماعية بين المنتمين لدين واحد.

٢- لقد طالب الإسلام المسلم بأن لا ينال منه أذى لما يعتقده الآخرون لأنهم عندها سيصدرون ما يسيء للعزّة الإلهية.

قال تعالى: "ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم."[٣٢]

والمطلوب من المسلمين مطلوب من سواهم أيضاً. إن ما يقوم به الصهاينة في القدس ضد المقدسات الإسلامية والمسيحية، وما تتسابق على نشره صحف الدنمارك وأوروبا عموماً، وما ينشره إعلام الولايات المتحدة من اباطيل بات روبرتسون وسواه

ضد الإسلام وغير ذلك كثير، كل هذا لا يؤسس لعلاقات سليمة هذا دون أن يغيب عن البال الدساتير الأوروبية التي لا تزال تصنف الإسلام على أنه ثقافة وليس ديناً، فكيف يكون الحوار بين الغرب والشرق، أو بين المسلمين والمسيحيين الغربيين وهذه هي الحال؟

الحل يكمن في معالجة ظاهرة الغلو، وبوقف العدوان الفكري أو العسكري ووقف التخريب لمقدسات الآخر وباحترام ما يعتقده الآخر.

٣- في الدائرة الحضارية الإسلامية يحتاج الواقع إلى إعادة النظر من قبل مدارس فكرية وحركات حيث يجد المتابع من يركز على العامل الروحي أو يقف عند العبادات ويهمل نظام المعاملات أو يأخذه من منابع غير إسلامية فتحصل عنده شخصية مزدوجة، وهناك من يبالغ في الركون إلى العقل، ويعمل لعزل قيم الدين عن الفعل في المنظومة السياسية والاقتصادية والإجتماعية، عموماً وهو ما يعرف بالعلمانية اللادينية (Laïque)، وهذا التعطيل لدور الدين يجعل حالة تحلل من القيم والمثل الخلقية تسود فتتولد وحشية تنحط بأصحابها.

يفيد في هذا الإطار التذكير بأقوال تخدم الفكرة. قال الراغب الأصفهاني: "إعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا ينبني إلا بالعقل. فالعقل كالأسّ، والشرع كبناء ولن يُغني أسّ ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أسّ. وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني شعاع ما لم يكن بصر."[٣٣]

هذا الإنسان الذي يؤمن حضوره من خلال الإقتران في فكره ومسلكه بين الشرع والعقل يحتاج من أجل تعزيز الضمير والرقابة والضوابط أن يتقرب إلى الله تعالى عابداً، وقد قال الراغب الاصفهاني: "فالإنسان يحصل له من الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لأجلها خلق. فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ عن الإنسانية فصار حيواناً، أو دون الحيوان كما قال الله تعالى

في وصف الكفار."[٣٤] "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً."[٣٥]

٤- إن تحرير الإنسان من الإستعباد ورفع العدوان عنه، وتطهير المقدسات بدءاً من القدس من الاحتلال، وتحرير الأرض من الاحتلال، وحماية الكرامات والأعراض وحرية المعتقد والحريات عموماً من كل ظلم أو تطاول، كل هذه الأمور لن تتمّ بالإستجداء، ولا مع الضعف والتذلّل بل كما قال الشاعر: "وما نيل المطالب بالتمني."

كل إنسان وكل مجموعة ومؤسسة مطالبون بالتمرد والثورة، ومطالبون بالإعداد والإستعداد وامتلاك أسباب القوة، وهذا المنهج في المواجهة يؤسس له فكر المقاومة الذي يشبع ثقافة الناس بالممانعة والإستعداد للتضحية من خلال حركة مواجهة شاملة في الميادين كافة، ويكون أساسها قاعدة تقول: "الحقّ بغير القوة ضائع."

٥- إن العالم الإسلامي وفي قلبه الوطن العربي يمتد في قارتي آسيا وأفريقيا، وقسم صغير منه في أوروبا (البلقان) يشكل وفق الإستراتيجيين القارة الوسيطة لجهة الموقع الجغرافي، وهو عالم غني بالثروات الزراعية والنفطية وبالمعادن هذا غير البيئة ومؤهلاتها السياحية، والبحار وما تحمل في جوفها من ثروات، كل هذا جعل العالم الإسلامي والعربي حاضن الثروات الروحية والمادية، وهذه أمانة يحتاجها العالم كله من أجل إنسان تحترم حقوقه وكرامته.

إن الأمر يحتاج إلى تفعيل العمل العربي المشترك، والعمل الإسلامي من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، والهيئات والاتحادات والمنظمات، والعمل لانفتاح أكبر بين الدول ولتعاون وتبادلات تجارية بينية، ولسوق عربية مشتركة، وسوق إسلامية مشتركة، هذا مع محاكم عدل، وتعاون أمني وعسكري يردع الطامعين ويخلي أرض الامة من الإحتلال ومن القواعد العسكرية، ومن كل مواقع النفوذ الإستعماري، وأن تسود ديمقراطية لها جناحان: الحرية السياسية، والحرية الإجتماعية.

٦- إن التنمية البشرية أسّ من إساس النهوض الحضاري من أجل الإنسان،

والتنمية تحتاج الكم والكيف. لقد دقّ مالتوس عالم الإقتصاد النفير منذ نهايات القرن الثامن عشر محذراً من الزيادة السكانية، وأنها ستؤدي إلى مجاعة. وها هو العالم اليوم قد قارب ٧ مليارات إنسان ولا مشكلة في المواد مع التقدم العلمي والتقني إنما يأتي الخلل من القسمة الضيزى للثروة حيث الإستغلال والإحتكار والنهب والإغتصاب، ولو أحسن الجميع التعامل مع الإمكانات والثروات لما كان فقر ولا مرض.

الإنسان هو الرأسمال الأهم والحفاظ على حياته مع استمرارية النوع بالتوالد غريزة وفطرة، فالتكاثر حاجة كما تنمية المعارف والكفايات للفرد، وتطوير إمكاناته بالتدريب المستمر حاجة، والزيادة في الكم والكيف في البشر عامل حاسم لصنع الحضارة من أجل مجتمع أفضل.

٧- يحتاج الواقع إلى توجيه دعوات لكل أصحاب المال والاستثمار والعلم، وإلى أهل الإكتشاف والإختراع كي يتجهوا إلى حيث الحاجة إليهم فبدل أن تكون التخمة في بلد، والحاجة الملحة في بلد آخر- يكون الحلّ بالتوزيع العادل مما يعمم التنمية والإزدهار. ومن هذا القبيل يكون الكلام موجهاً لأصحاب رساميل عرب ومسلمين أخرجوا أموالهم إلى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وبعد أحداث ومجريات السياسة في هذه السنوات الأخيرة عرفوا التضييق والحصار، والدعوة لهم: أن تعالوا إلى مواقع تحتاجكم في أفريقيا وآسيا، وهنا تكون لكم الكرامة، ويكون لكم الإمتنان، وتزداد أرباحكم في هذه الأرض البكر، وفي رحاب ثروات لا حصر لها في البر والبحر.

٨- مأسسة العمل ضرورة على المستويات كافة. فالواقع ينطق بأن المؤسسات والعمل الجماعي هما الأدوم، ومنهما الضمانة للإستمرارية لأن عمر المؤسسات أطول من عمر الأفراد.

وهذا يقتضي أن يخرج كل فرد من الأنا إلى الآخرين ضمن منظومة قيم أخلاقية لأنه لا يمكن لاجتماع إنساني أن تستقر العلاقات فيه، ولا أن يتقدم، ويحقق ما فيه هناءة الإنسان وسعادته إن لم تسوده الأخلاق، وخيرها ما كان من هدي إلهي علوي

يسمو بالفرد والمجتمع، والملتزم به يتسامى ليلامس الطبائع الملائكية، ومن كان بلا قيم أخلاقية ينحط ليكون في مستوى أدنى يجعله أقرب إلى التوحش. وهنا يكون دور المؤسسات التي تربّي وتحصّن، وتمارس التنشئة للأجيال على دروب الخير والحق والعدل والجمال.

كل ذلك من أجل الإنسان وسعادته فرداً ومجتمعاً، وما كانت الرسالات السماوية إلا من أجل سعادته الدنيوية والأخروية، ولا تمت صياغة الفلسفات والنظريات التربوية والإجتماعية، ولا الفكر الإصلاحي، ولا قامت الثورات إلا من أجل الإنسان، فهل آن للجميع أن ينتصروا للإنسان ضد كل ظالم ومحتل ومغتصب لحقوقه او معتدٍ على حرماته؟؟

الهوامش:

١- ديورانت، ول، قصة الحضارة، م١، ج٢، ترجمة د. زكي نجيب محمود، تقديم د. محبي الدين صابر، بيروت، دار الجيل، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٦٥،١٦٤.

٢- ديورانت، ول، م.س.، ص ١٩٠.

٣- انجيل بوذا، ترجمة عيسى سابا، بيروت، مكتبة صادر، سنة ١٩٥٣، ص ١٤٧.

٤- السوفسطائيون: مجموعة فلسفية يونانية من القرن الرابع قبل الميلاد اشتهر أتباعها بالجدل العقيم والتركيز على أن المحور في المعرفة هو الإنسان الفرد.

٥- النشار، د. علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان، الاسكندرية، منشأة المعارف، سنة ١٩٦٤، ص ٢١٣.

٦- النشار، ول،قصة الفلسفة، ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع، بيروت، دار المعارف، ط٦، بدون تاريخ، ص٣١.

٧- ديورانت، ول، قصة الفلسفة، ترجمة د. محمد فتح الله محمد المشعشع، بيروت،المعارف، ط٦، بدون تاريخ، ص ٣١.

٨- العهد القديم: هو قسم الكتاب المقدس المعتمد عند يهود، وتأخذ به الكنيسة مع مواقف متباينة كالتأويل أو الانتقائية ويتألف من:

أ- التوراة وهي خمسة أسفار (التكوين – الخروج – اللاديين أو الأحبار- العدد – تثنية الإشتراع)

ب- أسفار الأنبياء (نبيئيهم)

ج- الكتابات (كتوبيم).

٩- سفر التكوين، الإصحاح الأول، الفقرة ٢٧ وما بعدها.

١٠- معجم اللاهوت الكتابي، جمعية الكتاب المقدس في الشرق، بيروت، دار المشرف، ط٢، ١٩٨٨، ص٢٦،٢٧.

١١- المجمع الفاتيكاني الثاني، أشرف على الترجمة وقام بقسم منها الأب حنا الفاخوري، بيروت، المكتبة البوليسية، ط١، سنة ١٩٩٢، ص ٢٨٤ – ٢٨٥.

١٢- المجمع الفاتيكاني الثاني، م.س.، ص ٢٩٩.

١٣- المجمع الفاتيكاني الثاني، م.س.، ص ٢٩٨.

١٤- البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم، حوارات (١٩٧٩-١٩٨٨)، دمشق، منشورات بطريركية الروم الأرثوذكس، ط١، سنة ٢٠٠١، ص٢٤.

١٥- البطريرك أغناطيوس الرابع هويم، حوارات (١٩٨٩-٢٠٠٠)، دمشق، منشورات بطريركية الروم الارثوذكس، ط١، سنة ٢٠٠١، ص١٨٨.

١٦- سورة التين، الآية ٣.

١٧- سورة البقرة، الآيتان ٣٠-٣١.

١٨- سورة التوبة، الآية ٧٠.

١٩- سورة الشورى، الآية ٤٢.

٢٠- سورة البقرة، الآية ٢٠١.

٢١- الفارابي، أبو نصر، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، قدم له وعلّق عليه د. ألبير نصري نادر، بيروت، دار المشرق، ط٣، سنة ١٩٨٦، ص١١٧.

٢٢- الفارابي، أبو نصر، م.س.، ص١١٨.

٢٣- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، بيروت، دار القلم، بدون تاريخ، ص٣٣.

٢٤- ابن خلدون، عبد الرحمن، م.س.، ص ٣٣.

٢٥- ابن خلدون، عبد الرحمن، م.س.، ص٣٤.

٢٦- إبن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة د. عبد الصمد شاهين، دمشق، دار الفكر، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٢٣-٢٤.

٢٧- ابن نبي، مالك، م.س.، ص ٨٨.

٢٨- الصدر، السيّد محمد باقر، فلسفتنا، بيروت، دار التعارف، بدون تاريخ، ص ٤٥.

٢٩- الصدر، السيّد محمد باقر، م.س.، ص ٤٨.

٣٠- شريعتي، د. علي، الإنسان والإسلام، ترجمة د. عباس الترجمان، بيروت، دار الروضة، ط١، سنة ١٩٩٢- ١٤١٢ هـ ص ١٠٤.

٣١- السحمراني، أسعد، مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، بيروت، دار النفائس، ط٢، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص١٩١.

٣٢- سورة الانعام، الآية ١٠٨.

٣٣- الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تقديم وحواشي أسعد السحمراني، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص ١١٧.

٣٤- الراغب الأصفهاني، م.س.، ص ١٢٧.

٣٥- سورة الفرقان، الآية ٤٤